

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا  
كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 121]

### ❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ يَقْبَلُ صَالِحَ أَعْمَالِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا يَضِيعُ  
عِنْدَهُ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ؛ أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ وَجْهِ آخَرَ مِنْ وَجْهِ الْإِحْسَانِ، وَهُوَ  
الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى فَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْإِحْسَانَ بِبَذْلِ الْجَهْدِ  
الْبَدَنِيِّ بِالسَّيْرِ إِلَى الْعَدُوِّ، وَمَا يَلْحَقُهُمْ بِهِ مِنَ الْعَطَشِ وَالتَّعَبِ  
وَالْجُوعِ؛ أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ بَذْلِ الْمَالِ لِيُبَيِّنَ أَنَّهُ لَا يَضِيعُ عِنْدَهُ وَجْهُ مِنْ  
وَجْهِ إِحْسَانِهِمْ.

بَذْلُ الْمَالِ مِنْ  
الْإِحْسَانِ، كَمَا  
أَنَّ بَذْلَ الْوَسْعِ  
فِي الْجِهَادِ  
إِحْسَانٌ

### ❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

- (1) ﴿يَقْطَعُونَ﴾: (قطع) أصلٌ يدلُّ على صَرَمٍ وإِبَانَةٍ شَيْءٍ  
مِنْ شَيْءٍ<sup>(1)</sup>، الْقَطْعُ: فَصْلُ الشَّيْءِ، وَقَطَعَ الطَّرِيقَ يَرَادُ بِهِ السَّيْرُ  
وَالسُّلُوكُ<sup>(2)</sup>، "وَمِنْ الْمَجَازِ: قَطَعَ الْمَفَازَةَ قَطْعًا، وَقَطَعَ النَّهْرَ: عَبَرَهُ"<sup>(3)</sup>.
- (2) ﴿وَادِيًا﴾: الْوَادِي كُلُّ مَفْرَجٍ بَيْنَ الْجِبَالِ وَالتَّلَالِ وَالْإِكَامِ، سُمِّيَ  
بِذَلِكَ لِسَيْلَانِهِ، يَكُونُ مَسْلَكًا لِلْسَّيْلِ وَمَنْفَذًا<sup>(4)</sup>، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ  
بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ [طه: 12] الْوَادِي اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ: وَدَى، يَدَى، وَدِيًا؛ إِذَا  
سَالَ فَهُوَ وَادٍ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ الْمَاءُ، وَيَسِيلُ،  
فَالْوَادِي هُوَ الْمَاءُ، وَسُمِّيَ مَكَانُهُ بِاسْمِهِ مَجَازًا لِلْمَجَاوِرَةِ، وَأُطْلِقَ عَلَى  
كُلِّ مَا يَسِيلُ فِيهِ الْمَاءُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَفْرَجًا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ اتِّسَاعًا<sup>(5)</sup>.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قطع).

(2) الزاغبي، المفردات: (قطع).

(3) الرَّمْخَشَرِيُّ، أساس البلاغة: (قطع).

(4) ابن منظور، لسان العرب: (ودي).

(5) السمين، العمدة: (ودي).

## ❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تَبَيَّنَ الْأَجْرُ  
لِجَمِيعِ أَعْمَالِ  
الْمُجَاهِدِينَ  
وَلَيْسَ لِلْقِتَالِ  
وَحَسْبُ

يخبرُ الله تعالى أنَّ أعمالَ المؤمنين كُلِّها محفوظةٌ لهم، فإنَّ المجاهدينَ لا يبذلون أيَّ مالٍ؛ صغيراً أو كبيراً، ولا يسافرون أيَّ سفرٍ في سبيلِ الله، ولا يقطعون أرضاً في سفرهم، إلَّا كتَبَهُ اللهُ لهم في صحائفِ أعمالهم الصَّالحة، لينالوا به أحسنَ ما يستحقُّه العاملون من جزاء<sup>(1)</sup>.

## ❁ الإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَدَائِيُّ:

### بِلاغَةُ الوَصْلِ بِالْوَاوِ:

أَمَارَةُ الْإِيمَانِ  
تَوَالِي أَعْمَالِ  
الْبِرِّ، وَالْإِحْسَانِ

قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ معطوفٌ على الجملةِ في قوله تعالى: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا خَمَصَةٌ﴾، لاشتراكهما بكونهما من الأعمالِ التي تَبَيَّنَ لهم الأجرُ بها، "وهو انتقالٌ من عِدَادِ الْكُلْفِ الَّتِي تَصْدُرُ عَنْهُمْ بِلا قَصْدٍ في سبيلِ الله إلى بعضِ الْكُلْفِ الَّتِي لَا تَخْلُو عَنْ اسْتِشْعَارِ مَنْ تَحِلُّ بِهِمْ بِأَنَّهُمْ لِقَوْهَا في سبيلِ الله، فَالْنَّفَقَةُ في سبيلِ الله لَا تَكُونُ إِلَّا عَنْ قَصْدٍ يَتَذَكَّرُ بِهِ الْمُنْفِقُ أَنَّهُ يَسْعَى إِلَى مَا هُوَ وَسِيلَةٌ لِنَصْرِ الدِّينِ"<sup>(2)</sup>.

### بِلاغَةُ الْإِعْتِرَاضِ بَيْنَ جُمْلَتَي الْعَطْفِ:

بَيَّنَّ أَجْرَ  
لِلْمُذَكَّورِينَ  
تَرْغِيئاً، وَحَثّاً

ذَكَرَ ابْنُ التَّمْجِيدِ أَنَّ ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿وَلَا يَنَالُونَ﴾، وَمَا بَيَّنَّهُمَا اعْتِرَاضٌ، وَجْهُهُ التَّرْغِيبُ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ، وَالْحَثُّ عَلَيْهَا، وَالْمُبَادَرَةُ إِلَيْهَا بِبَيَانِ أَجْرِ الْمَذْكُورِينَ، وَإِظْهَارِ أَنَّ الْمَذْكُورَ هُنَا نَوْعٌ مُغَايِرٌ لِمَا قَبْلَهُ؛ إِذِ الْإِنْفَاقُ جِهَادٌ بِالْأَمْوَالِ، وَهَذَا بِاعْتِبَارِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ، وَذَلِكَ كَافٍ فِي الْإِسْتِقْلَالِ عَمَّا قَبْلَهُ<sup>(3)</sup>.

(1) مجموعة من المؤلفين، للنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 282.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/84 - 58.

(3) ابن التمجيد، حاشية على البيضاوي: 9/365.

## سر تأخير الإنفاق عن الأعمال المذكورة:

ذكر السياق القرآني الكريم الأعمال التي كتبت للمؤمنين أجرها، وفي قوله جل شأنه: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ آخر ذكر هذين العاملين، وتقدمت تلك الأعمال في الجمل السابقة؛ "لأنها أشق على النفس، وأنكى في العدو، وهاتان أهون؛ لأنهما في الأموال، وقطع الأرض إلى العدو، سواء حصل غيظ الكفار، والنيل من العدو، أم لم يحصل، فهذا أعم، وتلك أخص" (1)، فالمشقة بالإنفاق أهون منها بتحمل مشاق السفر والخروج إلى أرض العدو وإغاضته، فقدم الأشق، وأخر الأهون.

رُتِبَتِ الْأَعْمَالُ  
بِحَسَبِ مَشَقَّتِهَا  
عَلَى النَّفْسِ

## سر التنكير في المفعول به ﴿نَفَقَةً﴾:

آثر النظم الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ أن يعبر بصيغة التنكير في لفظ النفقة؛ وذلك تصغير لحدود النفقة التي يقع عليها الأجر، فلا اعتبار في قبول النفقة بصغرها أو كبرها، فالله تعالى يقبل نفقة العبد مهما كانت، وقد تكون القليلة أسبق للكبيرة منها، وقد جاء في الحديث الصحيح، قوله ﷺ: «سَبَقَ دِرْهَمٌ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَتَصَدَّقَ بِهَا» (2).

لَا يَرُدُّ اللَّهَ  
تَعَالَى نَفَقَةً  
عَبْدِهِ بِالنَّظَرِ إِلَى  
حَجْمِهَا، وَإِنَّمَا  
بَصَدَقَ نِيَّتُهَا

## سر وصف المفعول به بـ ﴿صَغِيرَةً﴾:

في قوله جل شأنه: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ وصف النفقة بكونها صغيرة، وكان التقليل في النفقة معلوماً من مجيء النفقة بصيغة التنكير، ولكن صرح بصغرها تأكيداً لقبولها مهما قلت، وتعميماً لكل نفقة.

يَقْبَلُ تَعَالَى  
النَّفَقَةَ مَهْمَا  
قَلَّتْ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 5/524، والشَّهاب، عناية القاضى: 4/376.

(2) النسائي: برقم: 2527.

## سرّ تقديم النّفقة الصّغيرة على الكبيرة:

النّفقة الصّغيرة  
أكثر شيوعاً

قدّم النّظم الكريم في قوله عزّ ذكره: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ ذكر النّفقة الصّغيرة على الكبيرة، إمّا باعتبار وجودها في الواقع بمعيار الكثرة والقلة، فأكثر الصّدقات ومعتادها أنها صغيرة، فقدّم كثير الوقوع على قليله<sup>(1)</sup>؛ لأنّ وقوع النّفقة الصّغيرة كثير، يقدّر عليها الميسور حاله وغيره، أمّا الكبيرة؛ فمقصورة في الغالب على الأغنياء، والمقصود التّعميم صراحةً؛ فلا يُغني ذكر الصّغيرة عن الكبيرة<sup>(2)</sup>.

لا تحقّر من  
المعروف شيئاً

ويجوز أن يكون تقديم النّفقة الصّغيرة اهتماماً بها، وعنايةً بشأنها، ودفعاً لاحتمال احتقارها، فقدّمها ترغيباً بها، وحثاً عليها<sup>(3)</sup>.

## سرّ عطف الكبيرة على الصّغيرة:

الحكم يشمل  
كلّ النّفقات  
صغيرة،  
وكبيرها

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ عطف الكبيرة على الصّغيرة للدلالة على شمول كلّ النّفقات، أي: نفقة صغيرة فما فوقها<sup>(4)</sup>، كما أنّ هذا العطف فيه دفع للتّوهّم؛ إذ لو قال: (ولا ينفقون نفقة صغيرة)، واكتفى بذلك؛ لأوهم ذلك أنّ الصّغر قيّد، فعطف الكبيرة عليها إعلالاً بأنّ الصّغر ليس قيّداً، وأنّ الكبيرة معتدّ بها<sup>(5)</sup>، "وذكر الكبيرة بعد الصّغيرة، وإنّ علم من الثّواب على الأولى الثّواب على الثانية؛ لأنّ المقصود التّعميم، لا خصوص المذكور؛ إذ المعنى: لا يُنقصون شيئاً ما، فلا يتوهم أنّ الظّاهر العكس"<sup>(6)</sup>.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/111.

(2) ابن التّمجيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 9/365.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 9/46.

(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/169.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 9/46.

(6) الشّهاب، عناية القاض: 4/375.

### بلغة طباق الإيجاب بين ﴿صَغِيرَةً﴾ ﴿كَبِيرَةً﴾:

في قوله تعالى: ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ طباق إيجاب؛ لجمع النظم بين لفظين متضادَّين مُتَبَتِّين في جملة واحدة، والطباق ينبّه على كلا الوصفين، فجمع بين الضدين لما في ذلك من جمال في المعنى، فاستحضر كلا الوصفين يدل على الشمول والتعميم، فهو تأكيد لقبول كل الصدقات بطريقة الأسلوب البديعي الجامع بين الصفات المتضادة.

### سرُّ العطف في ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾:

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ عطف قطع الوادي على الإنفاق في سبيل الله، استقصاءً للأعمال التي كتب الله تعالى لهم أجرها، فكما أنه كتب لهم أجر النفقة الصغيرة والكبيرة، فإنه كتب لهم أجر خطوات مسيرهم وقطعهم الوديان في طلب العدو ونشر الإسلام.

### بلغة التعبير المجازي في ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ تعبير مجازي؛ إذ القطع: فصل الشيء، وقطع الطريق يراد به السير والسلوك، فهو مجاز في العبور<sup>(1)</sup>، فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ أي: بالسير في الجهاد<sup>(2)</sup>، فلما كانت الأودية والأراضي قطعاً منفصلة متباينة أطلق على العبور بينها لفظ القطع الدال على الفصل، فكانهم يفصلون قطعة أرض عن أخرى بمسيرهم.

### دلالة التعبير بالفعل ﴿كُتِبَ﴾ مبنياً للمفعول بين الحقيقة والمجاز:

في قوله عزّ ذكره: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ يجوز حمل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ﴾ على الدالّتين: الحقيقة بمعنى: الكتابة في

الطَّبَاقُ بَيْنَ  
الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ  
تَأْكِيدٌ عَلَى  
الْقَبُولِ بِأَسْلُوبٍ  
بَدِيعٍ

كُلُّ عَمَلٍ  
لِلْمُؤْمِنِ  
مُسْتَقْصَى  
وَيُجْزَاهُ الْجَزَاءُ  
الْأَوْفَى

قَطْعُ الْوَادِي  
عُبُورُهُ

حُفِظَتْ  
أَعْمَالُهُمْ، وَتَبَّتْ  
لَهُمْ أَجْرُهَا

(1) الزاغب، المفردات، وجبل، للعجم الاشتقاق: (قطع).

(2) البقاعي، نظم الدرر: 9/46.

الصُّحُف، أو اللُّوح المحفوظ، والمجازية بمعنى: الحفظ والإثبات، إشارة إلى قبوله أعمالهم<sup>(1)</sup>، وقد أثر النظم الكريم أن يكون التعبير عن ذلك بصيغة المبني للمفعول؛ لأنَّ المراد بيان أن أعمالهم محفوظة لهم، وثبت لهم أجرها، وهذا هو الأهم في السياق، فبناه "للمفعول؛ لأنَّ القصد الحفظ بالكتابة مطلقاً"<sup>(2)</sup>، أي: لا من حيث كونه من معين؛ إذ التَّغْيِبُ والتَّبْشِيرُ يقع ببيان إثبات الأجر، وإن كان هناك فرق بين كون مُثَبَّت الأجر هو الله تعالى أو الملائكة، فإنه إثبات حاصل لهم في كلِّ حال.

#### بيان التشابه اللفظي في ذكر المكتوب وحذفه:

قال تعالى في الآية السابقة: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾، وقال تعالى هنا: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمُ﴾، ولم يذكر المكتوب؛ وذلك أنَّ الآية الأولى فيها ما ليس عملاً لهم كالظَّمْأ والنَّصَبِ والمَحْمَصَةِ، فهذه ليست من أعمالهم غير أنه تُكْتَبُ لهم أعمالٌ صالحة؛ لأنَّ الله سبحانه بفضله أجرى ذلك مجرى عملهم في الثَّواب، أما الآية الثانية؛ فما جاء فيها كُلُّهُ من أعمالهم، فإخراج النَّفَقَاتِ ما دقَّ أو جلَّ، وقطعُ الوديان في المسير إلى الأعداء هي أعمالٌ لهم محفوظة مكتوبة عند الله تعالى ولذا لم يكن ثَمَّةَ داعٍ إلى القول: (كُتِبَ لهم به عملٌ صالحٌ)؛ لأنَّه عملٌ حقيقةً<sup>(3)</sup>.

#### دلالة اللام في ﴿لَهُمْ﴾:

في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًّا إِلَّا كُتِبَ لَهُمُ﴾ عبَّرَ عن استحقاقهم الأجر بالكتابة، وأدخلَ لامَ الاستحقاق على ضميرهم بياناً لذلك، فشَبَّهَ الجملة ﴿لَهُمْ﴾ جاءت لبيان أن كتابة الأجر كائنة

الظَّمْأ وما  
عُطِفَ عليه  
ليست أعمالهم  
الحقيقيةَّة،  
والنَّفَقَاتِ  
والسيرُ أعمالهم  
الحقيقيةَّة

ما ينالوه من  
أجرٍ استحقاقٍ  
لهم

(1) الشَّهاب، عناية القاض: 4/375.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 9/46.

(3) الإسكافي، درة التنزيل: 2/731 - 732، والكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص: 138.

لهم، ولو قال: (إِلَّا كُتِبَ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ) بلا قيدٍ شَبَّهِ الجُمْلَةِ؛ لَفُهِمَ إثباتُ الأجرِ لهم، ولكنَّ التَّصْرِيحَ باستقرارِهِ لهم، فيه تَكْرِيمٌ لهم بذكرِهِم، وتَنْوِيهٌ بِشَأْنِهِم.

### بلغة الحذف في: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ حَذَفَ بليغٌ؛ إذ لم يقلْ كما قال: ﴿وَلَا يَنْالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾، والمحذوفُ ضميرٌ مقدَّرٌ، "يعودُ على المصدرِ المفهومِ من ينفقون، ويقطعون، كأنَّه قيل: كَتَبَ لَهُمْ هُو، أي: الإنفاقَ والقطعَ، ويجوز أن يعودَ على قوله: ﴿عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ المتقدِّمُ الذِّكْرُ" (1).

### دلالة اللام في ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾:

جاءَ النَّظْمُ الكريمُ باللامِ في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الدَّالَّةُ على العِلَّةِ لِيَبَيِّنَ عِلَّةَ الْكَتَابَةِ، أي: كَتَبَ لَهُمُ الْحَسَنَاتِ لأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ لغرضِ الجزاءِ (2)، فالغايةُ من إثباتِ أَعْمَالِهِمْ وحفظِها أن يجازيَهُمُ عليها أَحْسَنَ الجزاءِ.

### سرُّ التعبيرِ بالفعل المضارع ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾:

في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ عبَّرَ بالفعلِ المضارعِ للدَّلالةِ على أَنَّ الجزاءَ غَيْرُ مَنْقُطِعٍ، بل هو دائمٌ مستمرٌّ، وبيانُ أَنَّ الجزاءَ كائنٌ في المُسْتَقْبَلِ بقرينةِ نَصْبِ الفعلِ المضارعِ.

### سرُّ تقديمِ المفعولِ بهِ على الفاعلِ:

قَدَّمَ تعالى المفعولَ بهِ في قوله عزَّ ذِكْرُهُ: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وهو الضَّميرُ العائدُ على الَّذِينَ يخرجونَ في سبيلِ اللَّهِ تعالى لأنَّ الجزاءَ لَهُم، فأوصلَهُ بضميرِهِم، وفي تقديمِهِ تعجِيلُ بذكرِ مُسْتَحَقِّ الجزاءِ تنوِيهًا بعلوِّ شَأْنِهِم، كما أنَّ في تأخيرِ الفاعلِ تشويقًا لبيانِ المُجَازَاةِ.

المُقَدَّرُ كِتَابَةُ  
الْعَمَلِ الصَّالِحِ،  
إِنْفَاقًا وَقِطْعًا

كِتَابَةُ الْحَسَنَاتِ  
جَزَاءُ الْأَعْمَالِ  
الصَّالِحَاتِ

جَزَاءُ اللَّهِ تَعَالَى  
غَيْرُ مَنْقُطِعٍ

مُسْتَحَقُّ الْجَزَاءِ  
عَالِي الشَّانِ

(1) أبو حَتَّان، البحر المحيط: 5/524، والقاسمي، محاسن التأويل: 5/528.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/58.

## دلالة التعبير بالمظهر في مقام المضمّر:

في قوله جلّ شأنه: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمّر، ولم يقل: (ليجزّيهم أحسن)؛ لأنّه أثر إظهار لفظ الجلالة في سياق مجازاتهم، تعظيماً للجزاء المعدّ لهم، فالله تعالى بجلاله وكماله هو من يجازيهم، وفي ذلك من الفخامة والتعظيم للأجر، والتشويق بما يحثّ النفوس على بذل غاية الوسع.

## سرّ التعبير بصيغة التفضيل ﴿أَحْسَنَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ جاء التعبير بصيغة التفضيل لبيان حسن جزاء الله تعالى وقد تعدّدت آراء أئمّة التفسير في بيان المراد منها وموقعها الإعرابي، فذكروا أنّ له وجهين: الأوّل: أنّ الأحسن وصفٌ لفعالهم، فالله تعالى يجزيهم على أحسن أفعالهم، وفي إعراب هذا الوجه قولان: إنّهُ بدلُ اشتمالٍ من الضمير في ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾، كأنّه قيل: ليجزّي الله أحسن أفعالهم بالأحسن من الجزاء، أو أنّه على حذف مضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، والتقدير: ليجزّيهم جزاءً أحسن ما كانوا يعملون<sup>(1)</sup>. والثاني من الوجوه: أنّ "الأحسن صفة للجزاء، أي: يجزيهم جزاءً هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل، وهو الثواب"<sup>(2)</sup>، وهذا التّنوع في بيان الموقع الإعرابي للمفردة يُفصّح عن سعة المعنى، وأنّ المعاني المحتملة كلّها مُرادّة، وهذا من سعة التعبير في القرآن.

## سرّ حذف حرف الجرّ في ﴿أَحْسَنَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ جاء اسم التفضيل بلا حرف جرّ، فلم يقل: بأحسن، أو عن أحسن،

إظهار الاسم  
الأعظم في  
سياق الجزاء  
تشريفاً لهم،  
وتعظيم للجزاء

لا جزاء أحسن  
من جزاء من  
تسمّى بالمحسن

في الحذف اتّساع  
بالمعنى

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/170، وأبو حنّان، البحر الحيط: 5/524 - 525، والشّهاب، عناية القاضى: 4/376، الصّاوي، حاشيته على تفسير الجلالين: 2/163.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/170.

فلو ذكرَ حرفَ الجرِّ (عن)، فقال: (عن أحسن ما كانوا يعملون)؛ لكانَ الجزءُ لأحسنِ الأعمالِ فحسَّبُ، وهذا المعنى خلافُ ما يُرادُ في الآية، فلم يأتِ مجرورًا بحرفٍ من حروفِ الجرِّ؛ لينتصبَ على المصدريةِ أو البدلِ اتِّساعًا في المعاني المذكورةِ آنفًا.

### سرُّ التعبيرِ بالفعلِ كانَ مع الفعلِ المضارعِ ﴿يَعْمَلُونَ﴾:

في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عبَّرَ النظمُ الكريمُ بفعلِ الكينونةِ ماضيًا مع جعلِ خبره فعلًا مضارعًا؛ ليفيد أنَّ تلكَ الأفعالَ كانت ديدَنهم<sup>(1)</sup>، فإنَّ الله تعالى يجازيهم جزاءَ العملِ الذي كانوا مواظبين عليه، فالفعلُ المضارعُ يدلُّ على التَّجدُّدِ والتَّكرارِ، والفعلُ الماضي (كان) يدلُّ على رسوخِ العملِ فيهم، فجمعُ بين الصِّغَتَيْنِ للدَّلالةِ على استمرارِهم على هذه الأفعالِ منذ الأزمنةِ الماضيةِ، وكأنَّها طبعٌ فيهم، وسجيَّةٌ.

### بيانُ مُتشابهِ النظمِ في فاصلتي الآيتين:

خَتَمَ تعالى الآيةَ السَّابِقَةَ بقوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وخَتَمَهَا تعالى هنا بقوله: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وعَلَّةُ ذلك أنَّ الإخبارَ في الأولى كان عَمَّنْ "أصابه ظمًا ونصبٌ وجوعٌ، فقد أَخْبَرَ عَنْهُ بفعلٍ غيرِهِ، ولم يخبرْ عَنْهُ بفعلٍ فعَلَهُ هو، إِلَّا أَنَّهُ يُحَسِّبُ لَهُ - بما وصلَ إِلَيْهِ مِنَ ألمِ العطشِ والجوعِ والتَّعبِ والنَّصبِ - الأجرَ؛ فلذلكَ عَقَّبَهُ بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أَجَرَ مَنْ أَحْسَنَ طاعةَ الله، وتعرَّضَ منها لما تلحقُهُ فيه هذه الشَّدائدُ، وأمَّا الآيةُ الثَّانِيَةُ وتعقيبُها بقوله: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ فلأنَّ جميعَ ما ذُكِرَ كان عملاً لهم، فوعدهم حُسْنَ الجزاءِ على عملِهِم<sup>(2)</sup>.

حُسْنُ أفعالِهِمْ  
سجايَاهُمْ،  
وَجَمِيلُ  
خِصَالِهِمْ

التَّأَكُّيدُ وزيادةُ  
الوصفِ  
مناسبٌ؛ إذ  
كانتِ المشقَّةُ  
أشدَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/58.

(2) الإسكافي، دَرَّةُ التَّنْزِيلِ: 2/731 - 732، والكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص: 138.

وخلاصة علّة الاختلاف في التعبير بين الآيتين: أنّ الفاصلة في الآية الأولى جاءت مؤكّدة بـ (إنّ) والجملة الاسميّة، ومُصرّحاً فيها بالعمل الصّالح؛ لأنّ المشقّة هناك أشدّ، فجاء التعبير أقوى حيث كانت المشقّة أعلى<sup>(1)</sup>.

### ❁ الفروق المُعْجِية:

#### النّفقة والصّدقة والزّكاة:

#### الصّدقة أخصّ والنّفقة أعمّ

الصّدقة: ما يُخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة؛ كالزّكاة، لكنّ الصّدقة في العُرف تقال للمتطوّع بها، والزّكاة للواجب، وقيل: سمّي الواجب صدقة؛ إذا تحرّى صاحبه الصّدق في فعله<sup>(2)</sup>. أمّا الإنفاق؛ فقد يكون في المال، وفي غيره، وقد يكون واجباً وتطوّعاً، قال تعالى: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 254]<sup>(3)</sup>، فالنّفقة أعمّ من الصّدقة، فتستعمل في الإنفاق في الخير وغيره، كما في الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: 36]، وتعدّدت استعمالات الإنفاق في القرآن الكريم على وجوه، فوزّدت بمعنّى فرض الزّكاة، وبمعنّى التطوّع بالصّدقات، وبمعنّى الإنفاق في الجهاد، وعلى الأهل، وبمعنّى الإنفاق في عمارة الدّنيا، وبمعنّى رزق الخلق<sup>(4)</sup>، فالإنفاق عامّ يكون في المال وغيره، وفي الواجب وغيره، والخير ونقيضه. والصّدقة في القرآن: ما يُخرجه الإنسان من ماله تطوّعاً، وقد يُستعمل في الواجب، وفي الآية الكريمة عبّر بالنّفقة؛ لأنّه في الإنفاق في الغزو، وهو أعمّ من أن يكون في المال، فكلُّ شيء يُقدّم في سبيل الله تعالى مراد في الآية.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/46.

(2) الزّاغب، المفردات: (صدق).

(3) الزّاغب، المفردات: (نفق).

(4) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: (نفق).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14  
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

\*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

\*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14 [إشراف

مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 18، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-15-9

يشتمل على ارجاعات ببلوغرافية.

مج. 18: المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-15-9

\*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-0758707 بتاريخ 2024/01/31م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

\*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

\*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»